

بسم الله الرحمن الرحيم

## ورقة بعنوان

# القرآن يدعو إلى البحث

إعداد

د. عواطف أحمد الإمام

أستاذ مساعد

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

الملخص:

تبحث هذه الدراسة العلاقة بين القرآن والبحث العلمي . ومن خلال البحث في آيات القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم قد حض الناس جميعاً للنظر في آيات الله الكونية للتعرف عليها وتسخيرها لمنفعة الإنسان . وكان من سنن الله تعالى أن جعل المنافع الدنيوية للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم وخص المؤمنين بالآخرة . فكل من يعمل عقله ويوجه طاقته ويباشر الأسباب التي جعلها سبحانه يسخر ويطوع الله له مخلوقاته فيصل إلى الانتفاع بها . ولم يترك الله تعالى خلقه من غير هداية بل هداية بل هداية وأنع عليهم بالسمع والبصر والعقل، ولم يكلمهم إلى ذلك فقط بل أرسل لهم الرسل ليحتكموا إليهم إذا اختلفوا . وكان من أجل النعم علينا هذا القرآن الذي حوى جميع العلوم ، ومنها كيفية البحث وأدواته وخطواته والتي تبدأ بالنظر في آيات الله الكونية، ومن ثم آياته القرآنية بالتلاوة والترتيل والقراءة ثم التدبر والتفكير الذي يقود إلى التعلم، مع توجيهه لاستخدام العلوم المكتشفة لما فيه صلاح الكون وحياة الناس، والبعد عن كل ما يؤدي إلى الفساد . وقد توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم دعا إلى إعمال العقل للوصول إلى الحقائق العلمية، النظرية والتطبيقية والانتفاع بما في الكون من نعم، وذلك لاشتماله على جميع الحقائق التي تحتاجها البشرية لحياتها . ودعت إلى وجوب الاستفادة من هذه الحقيقة وذلك بالرجوع للقرآن أولاً لبداية الانطلاق نحو البحث، وأخراً للتأكد من صحة نتائج البحوث، لأن القرآن هو الحق المطلق بخلاف المعارف البشرية القاصرة . وتوجيه الباحثين والمؤسسات البحثية لأهمية هذا الأمر . مع وجوب التأكيد على ربط دراسة العلوم التطبيقية في الجامعات بالقرآن الكريم .

**Abstract:**

This study explores the relationship between the Holy Koran and scientific research. It is clear that the Holy Koran demands human beings to look into the Korana verses in order to identify their meanings and then using them for human utility. These public utilities are made for both Muslims and non-Muslims; however, only the believers are rewarded the hereafter. And those who work their critical mind and exert efforts can better enjoy the public utilities. More importantly, God has also granted humanity the senses of hearing, vision and reasoning and sent them his messengers to settle their differences.

Thus, the Holy Koran, as one of the most important blessings, contains all sciences and their means of scientific research. That is, reciting Korana verses lead to thorough thinking about the creation of the universe.

In sum, the study has reached to the conclusion that the Holy Koran clearly invites people to keep working their thinking in order to reach to scientific facts. The starting point to the process of scientific research is the Holy Koran. This is with the necessity of relating the study of applied sciences to the Holy Koran.

المقدمة :

خلق الله تعالى الإنسان وكرمه وفضله على كثير من خلقه واستخلفه في الأرض وسخر له ما في السموات والأرض وجعل له السمع والبصر ومنحه العقل وحرية الاختيار وأمره بالسير في الأرض لمعرفة كيفية الانتفاع بما خلق الله له وأمره بعمارة الأرض وعدم الإفساد.

وقد دعا القرآن الكريم من خلال آياته الإنسان للبحث والنظر والتفكير ليعقل ويعلم لينتفع بما سخر له، ولا يمكنه الانتفاع بما خلق الله له من خيرات إلا من خلال البحث والتقصي.

وكانت الوسيلة لتعليم الإنسان الأول "آدم عليه السلام" التعليم المباشر من الله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (١)، " ثم كان بعد ذلك عبر مناهج الرسل. والتي تتضمن الاستدلال على صدقهم بالمعجزات الحسية المشاهدة للمعاصرين حتى ختمت الرسالات بالإسلام والذي استوجب ختمه أن يتضمن معجزة متجددة مستمرة تثبت صدق نسبه إلى الله تعالى: (سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٢)، وتضمن منهجه كذلك الوسائل التعليمية للعلوم المختلفة لتسخير المنافع والحقائق العلمية لمختلف القضايا التي يحتاجها الإنسان لتصحيح مسار حياته وتقويمها والوقوف أمام التحديات التي تعترض عمارة الأرض وإصلاحها ومنع الأسباب التي تؤدي إلى الفساد ، والذي يتسبب فيه الإنسان.

فمن لم يكن على هدى من الله يستخدم معرفته للإفساد في الأرض وإلحاق الضرر بالإنسان وغيره . (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٣).

ويتبين لنا أن القرآن دعا إلى أعمال العقل للوصول إلى الحقائق العلمية ، النظرية والتطبيقية والانتفاع بما في الكون من نعم ، فهل تضمن القرآن إشارات إلى الحقائق العلمية للعلوم المختلفة؟، وهل يمكن الانطلاق نحو البحث من الحقيقة القرآنية؟

فهذا البحث يناقش الآتي:

هل ذكرت كل الحقائق في القرآن الكريم؟

هل أمر القرآن الكريم بالبحث العلمي؟ وهل كان الأمر للمسلمين فقط أم للناس جميعا؟

هل بين القرآن الكريم أدوات البحث وخطواته؟

الأهداف:

(١) سورة البقرة الآية (٣١).

(٢) سورة فصلت الآية (٥٢).

(٣) سورة الروم الآية (٤١).

١. إثبات ان كل الحقائق العلمية قد ذكرت في القرآن الكريم.

٢. ان القرآن الكريم يحث الناس على البحث.

٣. أهمية البحث العلمي لتسخير المنافع للناس.

### البحث في اللغة:

البحث أن تسأل عن شيء وتستخير (٦)، والبحث : بذل الجهد في موضوع ما و جمع المسائل التي تتصل به و ثمره هذا الجهد و نتيجته. وبحث فتنس و اجتهد فيه و تعرف حقيقته و عنه سأل و استقصى فهو باحث و

بحاث و بحاثه (٧)، وسورة براءة كان يُقال لها البحوث لأنها بحنت عن المنافقين وأسرارهم (٨).

وقد وردت كلمة بحث في القرآن الكريم في موضع واحد ، قال تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (٩).

بعث الله غرابين فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر فدفنه وقيل : إن الغراب بحث الأرض على طعمه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه لأنه من عادة الغراب فعل ذلك فتنبه قابيل بذلك على مواراة أخيه " (٩) .

وهذه الآية فيها الإشارة إلى التعلم بالتجربة التطبيقية، وقد كانت بوحى من الله تعالى لأنها كانت أول تجربة لا سابقة لها مما يوحى بضرورة الاستفادة من طريقة حياة المخلوقات الأخرى.

### البحث اصطلاحاً:

يقول الجرجاني: هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشئيين بطريق الاستدلال (٩)، والبحث دراسة مبنية على نقص وتتبع لموضوع مُعَيَّن وفق منهج خاص لتحقيق هدف مُعَيَّن: من إضافة جديد، أو جمع متفرق، أو ترتيب مختلط، أو غير ذلك من أهداف البحث العلمي (١٠)، وقيل إن التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، و هي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يُتممه، أو شيء مُغلق

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١١٥ / ٢.

(٥) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠ / ٤٠/

(٦) تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، دار إحياء التراث العربى - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، ٢٧٩ / ٤ .

(٤) سورة المائدة الآية (٣١).

(٨) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ١٤١/٦.

(٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ٦١/١.

(١٠) <http://www.alagidah.com>

يُشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يُخلّ بشيء من معانيه، أو شيء مُتفرّق يجمعه، أو شيء مختلط يُرتبه، أو شيء أخطأ فيه مُصنّفه فيصلحه(١١).

فالبحث من هذه التعريفات يعني إعمال العقل في الحقائق لمعرفة كيفيتها للتأكد منها أو للاستفادة منها، أو للوصول للحقيقة كاملة من مقدماتها، وكل ذلك لا يتم إلا بإعمال العقل والبحث والاستقراء وإجراء التجارب. ومن المعروف أن علماء المسلمين كانوا قد بدؤوا البحث في المسائل العملية قبل البحث في المسائل الاعتقادية أو النظرية، ونتج عن هذا أسبقية المنهج الأصولي لدى علماء أصول الفقه قبل منهج المتكلمين في المسائل الاعتقادية. وقد وضعت قواعد الاستدلال والاستقراء، وتكونت على نحو متكامل على يد الإمام الشافعي رحمه الله (١٢).

هل ذكرت كل الحقائق في القرآن الكريم والسنة؟

ذكرت كلمة الحق في القرآن في ١٧٦ آية منها:

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)<sup>(١٣)</sup>، وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)<sup>(١٤)</sup>، وجاء في بعض الآيات الخطاب للناس جميعاً مبيناً الحق مخيراً خلقه بالأخذ به أو تركه، وأن إيمانهم لخير لهم وأن كفرهم لا ينقص من ملك الله شيئاً.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)<sup>(١٥)</sup>.

قوله تعالى يا أيها الناس الكلام عام وروي عن ابن عباس أنه قال أراد المشركين قد جاءكم الرسول بالحق أي بالهدى والصدق<sup>(١٦)</sup>.

(١١) أنواع البحوث العلمية وكيفية انجازها ، وائق غازي المطوري ، <http://www.geologyofmesopotamia.com>.

(١٢) المنهج والمنهجية في الاصطلاح ، جامعة أم القرى ، <http://www.uqu.edu.sa/page/ar/109045>.

(١٣) سورة النساء الآية (١٠٥).

(١٤) سورة المائدة الآية (٤٨).

(١٥) سورة النساء الآية (٧٠).

(١٦) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٢/٢٠٠٢.

وبين سبحانه أنه لن ينتفع بهذه الآيات والعلوم المستنبطة منها الذين يتكبرون ويكذبون بآيات الله. (سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)(١٧).

ثم بيّن سبحانه أن سبب ذلك اتباعهم للظن وترك الحق الواضح (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)(١٨).

قيل المراد بالآية إنه ما يتبع أكثرهم في الإيمان بالله والإقرار به إلا ظنا ، ثم أخبرنا الله سبحانه بأن مجرد الظن لا يغني من الحق شيئا ، لأن أمر الدين إنما يبنى على العلم وبه يتضح الحق من الباطل، والظن لا يقوم مقام العلم ولا يدرك به الحق ولا يغني عن الحق في شيء من الأشياء(١٩). ويقول الألوسي: (الحق وهو القرآن العظيم المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة المشتمل على علوم الأولين والآخرين)(٢٠).

ثم بين الله تعالى أن مرجعية الحق في حالة الشك هو الوحي لأنه الحق الخالص ولأنه من عند علم خبير. (فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)(٢١).

ووصف سبحانه من لا يبصر حقائق الأشياء الواردة في القرآن بالعمى ، مما يدل على أن من يعمل عقله يرى أن القرآن هو الحق بوضوح تام.

(أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)(٢٢)، والمراد بالعمى عمى القلب والجاهل بالدين أعمى القلب(٢٣).

واستعير لمن لا يعلم أن القرآن حق اسم الأعمى لأنه انتفى علمه بشيء ظاهر بين فأشبهه الأعمى. فالكاف للتشابه مستعمل في التماثل . والاستواء المراد به التماثل في الفضل بقريظة ذكر العمى(٢٤)، ويؤكد في آية

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٦).

(١٨) سورة يونس الآية (٣٦).

(١٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت، ٤٤٦/٢.

(٢٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء

التراث العربي - بيروت ، ٦٠/٢٧.

(٢١) سورة يونس الآية (٩٤).

(٢٢) سورة الرعد الآية (١٩).

(٢٣) تفسير القرطبي ٢٦١/٩.

(٢٤) التحبير والتوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ١ ، ٢٢٣٨.

أخرى إكمال ذكر جميع الحقائق التي تهتم البشرية في هذا القرآن، (وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)<sup>(٢٥)</sup>.

يقول القرطبي: (ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن لأنه حق لا يمكن تبديله بما يناقضه لأنه من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الأمور كلها)<sup>(٢٦)</sup>.

ويقول الألوسي: (وتمام الشيء أنتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه ، والمراد بالكلمة الكلام وأريد به كما قال قتادة وغيره القرآن)<sup>(٢٧)</sup>.

ويقول الرازي: (أنها كافية في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام القيامة عملاً وعلماً ، والمراد بالكلمة القرآن أي تم القرآن في كونه معجزاً دالاً على صدق محمد عليه السلام )<sup>(٢٨)</sup>، "وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا"<sup>(٢٩)</sup>، ويقول الزمخشري: (وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير)<sup>(٣٠)</sup>.

وأن هذا الحق هو مشيئته سبحانه التي فيها صلاح الكون ، وأن البشر الذين تتجازبهم الأهواء لا يمكنهم إدراك الحق.

(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ)<sup>(٣١)</sup>، (لو وافق الحق مطلقاً أهواءهم لخرجت السماوات والأرض عن الصلاح والانتظام بالكلية)<sup>(٣٢)</sup>، ويبيّن سبحانه أنه سيكشف عن آياته حتى يتبين الحق من الباطل (سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)<sup>(٣٣)</sup>.

قال عطاء: في الآفاق: يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي أنفسهم من لطيف

(٢٥) سورة الأنعام الآية (١١٥).

(٢٦) تفسير القرطبي، ٧/٧١.

(٢٧) روح المعاني، ٨/١٠٠.

(٢٨) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ -

٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ١٣/١٣١.

(٢٩) سورة الإسراء الآية (١٠٥).

(٤) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٦٩٩/١.

(٣١) سورة المؤمنون الآية (٧١).

(٣٢) روح المعاني ١٨/٥٢.

(٣٣) سورة فصلت الآية (٥٣).



الصنعة وبديع الحكمة<sup>(٣٤)</sup>، ويؤخذ من معنى الآية كذلك استمرار رؤية آيات الله واكتشاف الإنسان لها من غير انتهاء.

يقول أبو السعود: (مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعم على تلك الآيات زماناً فرماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً)<sup>(٣٥)</sup>.

ويؤكد الله تعالى بقول صريح أن هذا القرآن يشمل جميع الحقائق من غير إغفال لشيء منها.

(مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)<sup>(٣٦)</sup>.

يقول الطبري: (ما من شيء إلا وهو في الكتاب)<sup>(٣٧)</sup>، ويقول الألوسي: (ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلا وفي القرآن العظيم إشارة إليها)<sup>(٣٨)</sup>.

ويصرح سبحانه أن بيان كل شيء في هذا القرآن: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)<sup>(٣٩)</sup>.

قال ابن مسعود: (أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء وقد بين لنا في القرآن)<sup>(٤٠)</sup>، ونخلص من ذلك أن الآيات الدالة على أن هذا القرآن فيه ذكر كل الحقائق من غير إغفال لشيء منها كثيرة متواترة في معناها وأن بيان هذه الحقائق سيظل مستمراً باستمرار عمر البشر.

### أمر القرآن الكريم للناس بالبحث العلمي:

أمر الله تعالى الناس بالسير في الأرض ومعرفة كيف بدأ الخلق ومعرفة تسخير المخلوقات للإنسان (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)<sup>(٤١)</sup>.

وجاء الأمر بالسير في الأرض في إحدى عشرة آية كلها في النظر في عاقبة المكذابين، منها: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)<sup>(٤٢)</sup>، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(٣٤) فتح القدير للشوكاني ، ٧٤٤/٤.

(٣٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٩/٨.

(٣٦) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٣٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، ٨٦/٥.

(٣٨) روح المعاني ، ٧١/١.

(٣٩) سورة النحل الآية (٨٩).

(٤٠) تفسير الطبري ، ٦٣٣/٧.

(٤١) سورة العنكبوت الآية (٢).

(٤٢) سورة النمل الآية (٦٩).

الْمُكذِّبِينَ<sup>(٤٣)</sup>، (أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(٤٤)</sup>).

ثم جاء الذم لمن يسير في الأرض من غير أن يتفكر ويعمل عقله وحواسه للوصول للحق، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ<sup>(٤٥)</sup>)، وقد قص سبحانه لنا قصص الأنبياء مع أقوامهم تفصيلاً وبين كيف عاقبهم بالهلاك والتدمير بطرق شتى . وهذا هو البحث عن طريق الاستقراء ، أما البحث التجريبي فقد جاء في كثير من الآيات، وبينت بعضها إجراء بعض التجارب إما لإثبات حقيقة أو لاكتشافها، (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٤٦)</sup>).

وهنا سأل إبراهيم عن حقيقة إحياء الموتى ليعرف الكيفية أما التصديق فهو مؤمن بحقيقة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وقد دلنا الله تعالى بمانشاهده من إحياء الأرض الموت بالماء، ولكن إبراهيم أراد مشاهدة الأمر، فأمره الله تعالى بإجراء تجربة تثبت هذه الحقيقة ليزداد يقيناً . وهذه التجربة لإثبات حقيقة.

يقول ابن كثير: فإن السؤال لما وقع بـ (كيف) دل على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان فـ (كيف) في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر<sup>(٤٧)</sup>. ويقول البغوي: إن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال<sup>(٤٨)</sup>.

ويقول الرازي: وعلى قول المتكلمين: العلم الاستدلالي مما يتطرق إليه الشبهات والشكوك فطلب علماً ضرورياً يستقر القلب معه استقرار لا يتخالجه شيء من الشكوك والشبهات<sup>(٤٩)</sup>، وكما جاء في الحديث عن بن عباس قال قال رسول الله " ليس الخبر كالمعاينة "<sup>(٥٠)</sup>.

(٤٣) سورة الأنعام الآية (١١).

(٤٤) سورة الروم الآية (٩).

(٤٥) سورة الحج الآية (٤٦).

(٤٦) سورة البقرة الآية (٢٦٠).

(٤٧) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الغداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت ، ٦٨٩/١.

(٤٨) تفسير البغوي، البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، ٣٢٣/١.

جاء في عمدة القاريء (أراد بهذا السؤال أن يضم علم الضروري إلى علم الاستدلالي لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين)<sup>(٤١)</sup>. وقد جاء في القرآن إعراف المكذبين بيوم القيامة بالحق بعد الإبصار وإقرارهم بأنهم قد أيقنوا الحق (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)<sup>(٥٢)</sup>.

وهنا طريقة أخرى في البحث التجريبي وهو وضع فرضيات لإثبات شيء أو نفيه . لما سأل موسى ربه النظر إليه، أمره الله تعالى بالنظر إلى الجبل وأنه سبحانه سينجلي للجبل، وكان هنال احتمالين فإن استقر مكانه سيرى موسى ربه، وإن لم يستقر فلن يحدث ذلك.

قال الله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(٥٣)</sup>.

يقول البغوي: والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إنني لا أرى حتى تكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً<sup>(٥٤)</sup>.

ويقول الزمخشري: قَالَ: " لَن تَرَانِي " أي لن تطبق معرفتي على هذه الطريقة ، ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل. فإنني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات ، فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعض فسوف تثبت لها وتطبقها<sup>(٥٥)</sup>.

ويقول الثعالبي: (لما علق الله (الرؤية باستقراره) <sup>(٥٦)</sup>، دلّ على جواز الرؤية لأن استقراره غير محال فدلّ على أن ما (علق) عليه من كون الرؤية غير محال أيضاً ، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما كان مستحيلاً

(٤٩) التفسير الكبير ، ٣ / ٤٨٧.

(٥٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة - القاهرة ، ٢١٥/١.

(٥١) عمدة القاريء، شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، ١٢٨/١٨.

(٥٢) سورة السجدة الآية (١٢).

(٥٣) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٥٤) تفسير البغوي ، ٣ / ٣٧٧.

(٥٥) الكشاف ، ٢ / ١٤٨.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ٢٧٦/٤.

علقه بشيء مستحيل. وهو قوله: (لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبَسَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)(٥٧)، وكانت النتيجة يقين سيدنا موسى بعدم قدرته على الرؤية في هذه الدنيا مع إمكانية حدوث ذلك.

وفي مثال آخر أجرت امرأة العزيز تجربة للنسوة اللاتي لمنها على مراودة يوسف لإثبات أنهن إن رأينه سيفعلن مافعلن وقد حدث بالفعل، قال تعالى: (قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ \* قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ)(٥٨). لم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف، عن ابن عباس قال سمعت السدي يقول: كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج فقطعن أيديهن وسالت الدماء فقلن: (نحن نلومك على حب هذا الرجل ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء)(٥٩).

وفي مثال آخر يقص علينا القرآن قصة الذي مرَّ على القرية الخربة التي شك في إمكانية إعمارها مرة أخرى، فبريه الله تعالى من دلائل قدرته ما يفوق تصوره، (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٦٠)، يقول الشوكاني: وإنما ذكر سبحانه عدم تغير طعامه وشرابه بعد إخباره أنه لبث مائة عام مع أن عدم تغير ذلك الطعام والشراب لا يصلح أن يكون دليلاً على تلك المدة الطويلة، بل على ما قاله من لبثه يوماً أو بعض يوم لزيادة استعظام ذلك الذي أماته الله تلك المدة، فإنه إذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد ظن أنه لم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم زادت الحيرة، وقويت عليه الشبهة، فإذا نظر إلى حماره عظاما نخرة تقرر لديه أن ذلك صنع من تأتي قدرته بما لا تحيط به العقول(٦١).

(٥٨) سورة الأعراف الآية (٤٠).

(٥٩) سورة يوسف الآية (٣٠-٣٢).

(٦٠) تفسير الطبري ١٩٨/٧.

(٦١) سورة البقرة الآية (٢٥٩).

(٦١) فتح القدير ٤٢١/١.

وهنا كانت التجربة لإثبات شيئين كيفية إحياء الموتى عن طريق المشاهدة ، وإثبات النقيض بحفظ الطعام وعدم تغيره وفساده بالرغم من مرور مائة عام . ويتبين من ذلك تطابق المنهج العلمي مع المنهج القرآني . وهناك كثير من الحقائق التي ذكرها القرآن والتي تتطلب الوقوف عندها كثيراً واستصحاب كل ماوصل إليه العلم البشري لتسخير كثير من المخلوقات التي خلقها الله تعالى من أجلنا (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً)<sup>(٢١)</sup>،

#### الدعوة بإعمال العقل والبحث العلمي للناس جميعاً:

خاطب الله تعالى الناس جميعاً ودعاهم إلى الإسلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)<sup>(٢٢)</sup>، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ)<sup>(٢٣)</sup>، كما أنه تعالى قد أشار في بعض آياته منبهاً للتفكير في خلقه لبيان قدرته.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)<sup>(٢٤)</sup>.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)<sup>(٢٥)</sup>.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ)<sup>(٢٦)</sup>.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٢) سورة البقرة الآية (٢٩).

(٢٣) سورة البقرة الآية (٢١).

(٢٤) سورة لقمان الآية (٣٣).

(٢٥) سورة الحج الآية (٥).

(٢٦) سورة الحج الآية (٧٣).

(٢٧) سورة فاطر الآية (٣).

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك للمسلمين ولغيرهم أن كثيراً من الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً تمت الإشارة إليها في آيات القرآن الكريم . وقد تم اكتشاف جلها من قبل غير المسلمين وذلك لأنهم أخذوا بالنهج القرآني في البحث والعلم، وأهمل ذلك المسلمون في عصرنا. وكما أشار القرآن في آياته أن تسخير ما في السموات والأرض للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، فلو وضع الكافر البذرة في الأرض وسقاها بالماء لأنبتت لا تمتنع لكفره، وتمتتع للمسلم إن لم يباشر الأسباب التي جعلها الله تعالى.

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)<sup>(٢)</sup>. (الظاهر أن هذا من كلام الله سبحانه رداً على إبراهيم حيث طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم: أي وأرزق من كفر فأمتعته بالرزق قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس<sup>(٤)</sup>: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين، أخلق خلقاً لا أرزقهم أمتعهم قليلاً؟، ثم قرأ ابن عباس (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)<sup>(٥)</sup>.

وكانه عليه السلام قاس الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الحاصلة بالخواص<sup>(٦)</sup>، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم وإنما قيده بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل<sup>(٧)</sup>، فقد صح عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب وهذا لفظ ابن عباس: دعا

(٦٨) سورة النساء الآية (١).

(٦٩) سورة يونس الآية (٥).

(٧٠) سورة البقرة الآية (١٢٦).

(٧١) فتح القدير ٢٢٠/١.

(٧٢) تفسير ابن كثير ٢٣٦/١.

(٧٣) سورة الإسراء الآية (٢٠).

(٧٤) تفسير أبي السعود ١٥٩/١.

(٧٥) تفسير البغوي ١٤٩/١.

إبراهيم عليه السلام لمن آمن دون الناس خاصة فأعلم الله عز وجل أنه يرزق من كفر كما يرزق من آمن وأنه يتمتع قليلاً ثم يضطره إلى عذاب النار<sup>(٣٦)</sup>.

ولا شك أن المؤمن والكافر إذا تعلموا العلم يكون الفرق في استخدامهم للعلم لأن المحرك لاختيار الفعل هو المعتقد.

جاء في أبجد العلوم (وكانت الأوائل يختبرون المتعلم أولاً فإن وجدوا فيه خلقاً ردياً منعه ، لنلا يصير آلة الفساد ، وإن وجدوه مهذباً علموه ، ولا يطلقونه قبل الاستكمال خوفاً على فساد دينه ودين غيره)<sup>(٣٧)</sup>.

وبين سبحانه حقيقة العلم والجهل يقول تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)<sup>(٣٨)</sup>.

يقول النسفي: وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا، وقوله ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها ، وباطنها انها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة<sup>(٣٩)</sup>.

وتبين من ذلك أن الله قد جعل هذه الدنيا لجميع خلقه ، يأخذ كل منهم منها حسب اجتهاده بخلاف الآخرة التي قصرت على المؤمنين ، لذا كانت الدعوة بإعمال العقل والبحث والتقصي لإدراك الحقائق للناس جميعاً.

#### القرآن يبين أدوات البحث العلمي وخطواته:

وأدوات التعلم ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في معرض تذكير العباد بنعمته عليهم ليشكروا الله تعالى بتوجيه هذه النعم لطاعته ' (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>(٤٠)</sup>.

وهنا يبين الله تعالى أن الإنسان خلق وهو لا يعلم شيئاً ، فوهبه الله تعالى أدوات ووسائل التعلم وهي السمع والبصر والفؤاد، يقول ابن تيمية: وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان

(٧٦) تفسير القرطبي ١١٧/٢.

(٧٧) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ ، تحقيق : عبد الجبار زكارا/٢٤١.

(٧٨) سورة الروم الآية (٧).

(٧٩) تفسير النسفي ، الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي ٢٦٧/٣.

(٨٠) سورة النحل الآية (٧٨).

عن البهائم ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع<sup>(٨١)</sup>، (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)<sup>(٨٢)</sup>، (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)<sup>(٨٣)</sup>. ومن ثم يبين الله تعالى مسؤولية الإنسان عن هذه النعم ، (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)<sup>(٨٤)</sup>.

ويبدأ البحث بالنظر والملاحظة و الرؤية العقلية، ثم الفكر وهو إعمال العقل مما يؤدي إلى الفهم ، ثم العلم وهو استقرار المعقول، ثم العقل وهو الاستفادة من العلم بأخذ النافع وطرح الضار ، ثم الإيمان ثم اليقين . يقول القشيري: على هذا الترتيب تحصل المعرفة ؛ فأولاً التفكير ثم العلم ثم التذكر ، أولاً يضع النظر موضعه فإذا لم يكن في نظره خللٌ وجب له العلم لا محالة ، ولا فرق بين العلم والعقل في الحقيقة، ثم بعده استدامة النظر وهو التذكر. ويقال إنما قال: " لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " : على الجمع لأنه يحصل له كثير من العلوم حتى يصير عارفاً بربه آياتٌ ودلائل، لأن دليل هذه المسألة خلاف دليل تلك المسألة ، فبدليل واحد يعلم وجه النظر ، وبأدلة كثيرة يصير عارفاً بربه<sup>(٨٥)</sup>. فالتفكير والبحث في الأدلة وتواترها يعني الوصول للحقيقة وهي نتائج البحث بعد الاستقراء وإجراء التجارب.

وقد أمر الله تعالى الناس بالنظر في الكون والتأمل في المخلوقات وإعمال عقولهم فيما تتعرف عليه حواسهم. والنظر تأمل الشيء بالعين فيقال نظرت إلى الشيء أنظر إليه إذا عاينته " <sup>(٨٦)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى: (انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)<sup>(٨٧)</sup>، وقوله تعالى: أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)<sup>(٨٨)</sup>، وقوله تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)<sup>(٨٩)</sup>.

(٨١) الرد على المنطقيين ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار المعرفة - بيروت ، ص٩٥.

(٨٢) سورة المؤمنون الآية (٧٨).

(٨٣) سورة الملك الآية (٢٣).

(٨٤) سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٨٥) لطائف الإشارات ، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالمك بن طلحة ابن محمد القشيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط أولى ، ١٩٧١م، تحقيق دكتور إبراهيم بسبوني ، ١٥٠/٢.

(٨٦) مختار الصحاح ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، ٢٧٧/١.

(٨٧) سورة الأنعام الآية (٩٩).

(٨٨) سورة ق الآية (٦).

(٨٩) سورة الغاشية الآية (١٧ - ٢٠).



فإذا قلت نظرتُ إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرتُ في الأمر احتمل أن يكون تفكراً وتدبراً بالقلب<sup>(٩٠)</sup>.

ومن ذلك كثير من الآيات التي تحض على السير في الأرض لأخذ العظة والاعتبار من عاقبة السابقين، منها (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)<sup>(٩١)</sup>، وقوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)<sup>(٩٢)</sup>، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)<sup>(٩٣)</sup>، وقوله تعالى: (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ)<sup>(٩٤)</sup>، وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)<sup>(٩٥)</sup>.

وقد وردت آية واحدة تدعو للسير في الأرض لمعرفة كيف بدأ الخلق ، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)<sup>(٩٦)</sup>.

يقول سيد قطب: الأمر بالسير في الأرض لينظروا كيف بدأ الخلق . يثير في النفس خطراً معيناً. ترى هنالك في الأرض ما يدل على نشأة الحياة الأولى ، وكيفية بدء الخليقة فيها . كالحفريات التي يتتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة؛ كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ وإن كانوا لم يصلوا إلى شيء في معرفة سر الحياة: ما هي؟ ومن أين جاءت إلى الأرض؟ وكيف وجد فيها أول كائن حي؟ ويكون ذلك توجيهاً من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى والاستدلال به عند معرفتها على النشأة الآخرة . وهناك احتمال أهم يتمشى مع طبيعة هذا القرآن؛ وهو أنه يوجه توجيهاته التي تناسب حياة الناس في أجيالهم جميعاً ، ومستوياتهم جميعاً ، وملابسات حياتهم جميعاً، ووسائلهم جميعاً. ليأخذ كل منها بما تؤهله له ظروف حياته ومقدراته " <sup>(٩٧)</sup>، وآية أخرى تتكرر علي الذين يسيرون في الأرض ولا يتأملوا ويسمعوا ويتفكروا ليعقلوا، قال تعالى: (أَفَلَمْ

(٩٠) تهذيب اللغة ١٤ / ٢٦٦.

(٩١) سورة الأنعام الآية (١١).

(٩٢) سورة الأعراف الآية (٥٣).

(٩٣) سورة الأعراف الآية (١٨٥).

(٩٤) سورة يونس الآية (١٠١).

(٩٥) سورة النمل الآية (٦٩).

(٩٦) سورة العنكبوت الآية (٢٠).

(٩٧) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، ٥ / ٤٥٩٤٥٨.

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(٩٨).

ويؤخذ من هذا النص الدعوة لإعمال العقل فيما يرى الإنسان ويسمع خلال سيره في هذه الدنيا . وهي الملاحظة . وهي الخطوة الأولى في البحث بتحديد مشكلة البحث، وهذه تتم عبر التلاوة والترتيل " وقد جاء الأمر بهما في قوله تعالى: (وَأَنْ أُنْتَلَوْا الْقُرْآنَ) (٩٩)، (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (١٠٠)، ت ل ا تلو الشيء الذي يتلوه ، وتلو الناقه ولدها الذي يتلوهها، و تلا القرآن يتلوه تلاوة ، و تلوت الرجل تبعته ، وبابه سما وجاءت الخيل تتاليا أي متتابعة(١٠١)، وتلوته تلو: تبعته، تلا و تلى بمعنى تبع . يقال: تلى الفريضة إذا أتبعها النفل(١٠٢). رتلته ترتيلا بعضه على أثر بعض. وهو ضد العجلة والتمكث فيه (١٠٣)، جاء في تهذيب اللغة "عن أبي العباس أنه قال في قوله عز وجل (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا): ما أعلم الترتيل إلا التحقيقَ والتمكينَ (١٠٤)، ورتل الشيء نسقه و نظمه(١٠٥).

وبما أن البحث العلمي يبدأ بتحديد الموضوع (مشكلة البحث)، وطرح الأسئلة ضمن الزمان والمكان والأحداث والأشخاص والعلاقات . فهذا يعني أن تحديد مشكلة البحث يتطلب جمع الآيات الواردة في الموضوع "ووضعها متتالية" تلاوة " ومن ثم ترتيبها حسب تسلسل الموضوع (ترتيل)، ومن ثم تشكيل الفرضيات وهي الخطوة الثانية من خطوات البحث وقد تمت الإشارة إليها في القرآن الكريم بالتدبر والرؤية وذلك بالاعتماد على تدبر معاني الآيات. (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (١٠٦)، (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (١٠٧).

(٩٨) سورة الحج الآية ٤٦.

(٩٩) سورة النمل الآية ٩٢.

(١٠٠) سورة المزمل الآية ٤.

(١٠١) مختار الصحاح /١/ ٣٣.

(١٠٢) لسان العرب ١٤/١٠٣.

(١٠٣) لسان العرب ١١/٢٦٥.

(١٠٤) تهذيب اللغة ١٤ / ١٩١.

(١٠٥) المعجم الوسيط /١/ ٣٢٧.

(١٠٦) سورة النساء الآية (٨٢).

(١٠٧) سورة محمد الآية (٢٤).

و دبر الأمر و تدبره: نظر في عاقبته<sup>(١٠٨)</sup>، (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)<sup>(١٠٩)</sup>، الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد ، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين النظر بالعين والقلب. قال الرَّاعِبُ رأى إذا عدِّي إلى مَفْعُولَيْنِ اقْتَضَى مَعْنَى الْعِلْمِ وَإِذَا عَدِّي بِإِلَى اقْتَضَى مَعْنَى النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْاِعْتِبَارِ<sup>(١١٠)</sup>، و (الرُّؤْيَةُ) بِالضَّمِّ إِذْرَاكُ الْمَرْتِي<sup>(١١١)</sup>.  
والرؤية أتم من النظر لأن النظر يفضي إلى الرؤية ، يقال نظرت فرأيت والمفضي إلى الشيء دون ذلك الشيء<sup>(١١٢)</sup>.

**ثالثاً تجميع المعلومات:** وهو ماتمت الإشارة إليه بالقراءة قال تعالى: (فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)<sup>(١١٣)</sup>، (قرأت) القرآن والكتاب قراءة وقرآنا، أتبعته بعضه بعضاً نظراً أو ظاهراً وأيضاً جمعته<sup>(١١٤)</sup>، وقال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة و الاقتراء و القارىء و القرآن ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض<sup>(١١٥)</sup>.

والقراءة هنا تعني الفهم المصاحب للقراءة، ولكن القرآن لا يمكن فهمه كله لأحد إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، (وَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً)<sup>(١١٦)</sup>، ولذا كان الأمر بقراءة ما تيسر، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن القرآن أنزل على سبعة حروف فاقروا ما تيسر منه)<sup>(١١٧)</sup>.

وهذه الخطوة تعني تجميع كل الآيات والنصوص ومعانيها التي لها صلة بموضوع البحث وكذا المعارف البشرية المتصلة بالقضية قيد البحث.

---

(١٠٨) لسان العرب ٤ / ٢٧٣.  
(١٠٩) سورة الرعد الآية (٤١).  
(١١٠) تاج العروس ٣٨ / ١٠٣ ، لسان العرب ١٤ / ٢٩١.  
(١١١) تاج العروس ٣٨ / ١٠٣.  
(١١٢) التفسير الكبير ٢٥ / ٤٢.  
(١١٣) سورة المزمل الآية ٢٠.  
(١١٤) الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، دار النشر: عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى، ٣ / ٥٢.  
(١١٥) لسان العرب ١ / ١٢٩.  
(١١٦) سورة الإسراء الآية (٤٥).  
(١١٧) الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، حديث رقم ٢٢٨٧.

والخطوة الرابعة: وهي البحث في الفرضيات لإثباتها أو نفيها، وهي تحليل ومعالجة المعلومات للوصول للنتائج ويكون بالتأكد من صحة الفرضيات باختبارها وتحليلها وموازنتها . وتمت الإشارة إلى هذا المعنى بالتفكير. الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء ، والتفكر التأمل والاسم الفكر و الفكرة والمصدر الفكر بالفتح" (١١٨).

والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، وذلك بإعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول" (١١٩).

والفكر مقلوب عن الفرك لأنه يستعمل في طلب المعاني ، وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها (١٢٠)، وقد ورد الفكر ومشتقاته في كثير من الآيات منها قوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (١٢١)، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٢٢)، وقوله تعالى: (يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٢٣).

يقول الرازي: ولقائل أن يقول: لا نسلم أنه تعالى هو الذي أنبتها ولم لا يجوز أن يقال: إن هذه الأشياء إنما حدثت وتولدت بسبب تعاقب الفصول الأربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب؟ وإذا عرفت هذا السؤال فما لم يقدّم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون هذا الدليل تاماً وافياً بإفادته هذا المطلوب، بل يكون مقام الفكر والتأمل باقياً، فلهذا السبب ختم هذه الآية بقوله: (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٢٤).

أي أنه تعالى في مجال الفكر تركه مفتوحاً لا يتوصل به إلى حقيقة قاطعة بل تظهر بالتدرج كل تفكر تظهر منه حقيقة تتبعها أخرى لا تنقطع وإلا لتوقف التفكير، فلا يقطع أحد بأن قد وصل إلى نهاية العلم بالشيء، ومَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (١٢٥).

(١١٨) لسان العرب ٥ / ٦٥ .

(٢) المعجم الوسيط ٢ / ٦٩٨ .

(١٢٠) روح المعاني ١٣ / ١٠١ .

(١٢١) سورة آل عمران الآية (١٩١) .

(١٢٢) سورة الرعد الآية (٣) .

(١٢٣) سورة النحل الآية (١١) .

(١٢٤) الرازي ١٩ / ١٨٨ .

(١٢٥) سورة الإسراء الآية (٨٥) .

قال تعالى: (ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١٣١).

وفي الآية تشبيه للذين يعملون عقولهم للاهتمام والاستفادة من معرفة كيفية معاش النحل وحياته والقيام بعمله، والبحث لمعرفة الطرق المثلى للاستشفاء بما يخرج من بطونها من الشراب.

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١٣٢).

قال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١٣٣).

وخص به أهل الفكر لأنهم أهل التمييز بين الأمور والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه في (الصدر)(١٣٤).

ونعم الله تعالى لا تحصى (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)(١٣٥)، أي لا يستطيع الإنسان الإحاطة بكل منافعها مما يؤكد استمرار التفكير والبحث بلا توقف.

**الخطوة الخامسة** وهي نتائج البحث وهو ماتم الإشارة إليه بالعلم، وهي الحقائق التي توصل إليها الباحث. يقول ابن تيمية: فاما العلم بمطابقة ذلك المقدر للموجود في الخارج والعلم بالحقائق الخارجية فلا بد فيه من الحس الباطن و الظاهر، فاذا اجتمع الحس والعقل كاجتماع البصر والعقل أمكن أن يدرك الحقائق الموجودة المعينة ويعقل حكمها العام الذي يندرج فيه أمثالها لا اضدادها، ويعلم الجمع والفرق وهذا هو اعتبار العقل وقياسه(١٣٦).

(١٣٦) سورة النحل الآية ٦٩.

(١٣٧) سورة الروم الآية (٢١).

(١٣٨) سورة الزمر الآية (٤٢).

(١٣٩) تفسير الطبري ١٠٢/١١.

(١٣٠) سورة النحل الآية (١٨).

(١٣١) مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحرانی أبو العباس ، ١٠٦/٩.

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١٣٣)، قال تعالى:  
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١٣٣).

(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١٣٤)،  
(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١٣٥).

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ النُّيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (١٣٦)، (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (١٣٧)، وقوله: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١٣٨)، فهي إشارة إلى ما خصهما الله تعالى به من عجائب صنعه وحكمته التي لا يعلمها إلا قليل ممن وصفهم بقوله تعالى: (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) (١٣٩)، (١٤٠).

ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم وإتباعهم أهواءهم (١٤١)، وهذا يدل على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه (١٤٢)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١٤٣).

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١٤٤).

(١٣٢) سورة الأنعام الآية (٩٧).

(١٣٣) سورة يونس الآية (٥).

(١٣٤) سورة يوسف الآية (٩٦).

(١٣٥) سورة النحل الآية (٨).

(١٣٦) سورة العنكبوت الآية (٤١).

(١٣٧) سورة الزمر الآية (٩).

(١٣٨) سورة غافر الآية (٥٧).

(١٣٩) سورة آل عمران الآية (١٩١).

(١٤٠) مفردات القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، ١/ ١٢٣٣.

(١٤١) الكشاف ١/ ١١٣٣.

(١٤٢) تفسير النسفي ٢/ ١٩٠.

(١٤٣) سورة سبأ الآية (٣٦).

(١٤٤) سورة البقرة الآية (٢٢).

ففي هذه الآيات وصف سبحانه من لا يتفكرون ويعملون عقولهم بأنهم لا يعلمون أي طريق العلم هو التفكير والتدبر في خلق الله تعالى . وأن الوصول للحق والعلم يكون عبر البحث في آيات الله الكونية وآياته القرآنية.

سادساً: الغاية من البحث: وهو الاستفادة من العلم وهوماتم الإشارة إليه بالعقل، والعقل التثبت في الأمور و العقل القلب والقلب العقل وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان) (١٤٥)، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٤٦).

قال الزجاج تسخير ما في السموات تسخير الشمس والقمر والنجوم للأدميين وهو الانتفاع بها في بلوغ منابهم والافتداء بها في مسالكهم تسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها) (١٤٧).

ويقول القشيري: كل ما خلق من وجوه الانتفاع بها - كله منه سبحانه ؛ فما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا- ومن وجه - للإنسان به انتفاع ... وكلها منه سبحانه ؛ فالسماء لهم بناء، والأرض لهم مهاد ... إلى غير ذلك، ومن الغبن أن يستسخر ما هو مسخر لك ولتأمل العبد كل شيء .. كيف إن كان خلل في شيء منها ماذا يمكن أن يكون؟ فلو لا الشمس .. كيف كان يمكن أن يتصرف في النهار؟ ولم لم يكن الليل كيف كان يسكن بالليل؟ ولو لم يكن القمر .. كيف كان يهتدي إلى الحساب والأجال ؟ ... إلى غير ذلك من جميع المخلوقات) (١٤٨).

ومن العقل الاستفادة مما وصل إليه الإنسان من العلم مما يعني تسخيره فيما يفيد البشرية لا استعماله في الإفساد والتدمير، لأن من يفعل ذلك يدل فعله على عدم عقله وعلمه ، ولذا كان اعتراف الكفار عند ورودهم النار أنهم لم يسمعوا ويعقلوا (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (١٤٩).

(١٤٥) لسان العرب ١١ / ٤٥٨ - ٤٥٩.

(١٤٦) سورة الجاثية الآية (١٣).

(١٤٧) لسان العرب ٤ / ٣٥٣.

(١٤٨) لطائف الإشارات، ٣ / ١٩١.

(١٤٩) سورة الملك الآية (١٠).

ومما سبق يتأكد أن القرآن الكريم قد أمر الناس جميعاً بالتدبر والتفكر في الكون والقرآن معاً لشمول القرآن لكل العلوم التي تحتاجها الإنسانية ، كما أنه أشار لكيفية وخطوات البحوث العلمية، مع توجيهه لاستخدام العلوم المكتشفة لما فيه صلاح الكون وحياة الناس والبعد عن كل ما يؤدي إلى الفساد.

الخاتمة :

١. دعا القرآن إلى إعمال العقل للوصول إلى الحقائق العلمية ، النظرية والتطبيقية والانتفاع بما في الكون من نعم.

٢. يشتمل القرآن الكريم جميع الحقائق التي تحتاجها البشرية لحياتها.

٣. أمر القرآن الناس جميعاً بالبحث العلمي كل حسب قدراته وظروفه.

٤. بين القرآن الكريم أدوات البحث كما فصل خطواته.

#### • كما توصي الدراسة بالآتي:

١. حض المسلمين بالسير في الأرض لتسخير المنافع كما أمر سبحانه ، وأنه جزء أصيل من الدين مع التنبيه لأهمية هذا الأمر.

٢. القرآن الكريم حوى جميع الحقائق مما يعني وجوب الاستفادة من هذه الحقيقة وذلك بالرجوع للقرآن أولاً لبداية الانطلاق نحو البحث ، و آخراً للتأكد من صحة نتائج البحوث ، لأن القرآن هو الحق المطلق بخلاف المعارف البشرية القاصرة . وتوجيه الباحثين والمؤسسات البحثية لأهمية هذا الأمر.

٣. وجوب التأكيد على ربط دراسة العلوم التطبيقية في الجامعات بالقرآن الكريم.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.

١. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

٢. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار

الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.



٣. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
٤. الجامع لأحكام القرآن ،محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله.
٥. <http://www.alagidah.com>
٦. أنواع البحوث العلمية وكيفية إنجازها ، واثق غـازي المطـور .  
<http://www.geologyofmesopotamia.com>
٧. المنهج والمنهجية في الاصطلاح ، جامعة أم القرى <http://www.uqu.edu.sa/page/ar/109045>
٨. زاد المسير في علم التفسير ، ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.
٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١١. التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور.
١٢. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
١٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
١٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.
١٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
١٧. تفسير البغوي، البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
١٩. عمدة القاريء، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.
٢٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
٢١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٧٨ ، تحقيق: عبد الجبار زكار .
٢٢. تفسير النسفي، الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي.
٢٣. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة - بيروت.
٢٤. لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحه ابن محمد القشيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط أولى ، ١٩٧١ م ، تحقيق دكتور إبراهيم بسيوني.
٢٥. مختار الصحاح: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٧. الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، الطبعة: الأولى.
٢٨. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.
٢٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.
٣٠. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس.
٣١. مفردات القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب.